الباب الثالث

العرب بين إيران وأمريكا

العرب وإيران و أمريكا

على الرغم من أهمية الدور المصري النشط في كافة المحافل الدولية المتعلقة بالعراق إلا أنه يمكن القول بأن الدور العربي لم يكن له تأثير فيما يجرى في العراق أوتأثير فيما يؤول إليه مستقبل العراق وذلك في ضوء غياب خطة أو مشروع عربي من أجل المساهمة في حل الأزمة العراقية التي لا يجب أن يتركها العرب بالكامل لكل من إيران والولايات المتحدة الأمريكية وعدم ترك الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية في إذكاء روح العداوة والاستعداء بين العرب وإيران وتكريس الانشقاق في المنطقة من خلال خلق محاور وإيجاد الفرقة في المنطقة لصالح إسرائيل وتفردها في المنطقة، هذا مع عدم جدية مشروعات السلام المطروحة واليأس من التوصل إلى نتائج ملموسة من الاجتماع الأمريكي المقترح لمناقشة مشكلة الشرق الأوسط في ظل عدم استطاعة حكومة إسرائيل الحالية تحقيق السلام العادل في المنطقة وتأكيد باراك مؤخرًا على صعوبة تحقيق السلام خلال المنظور القريب.(١)

لقد حان الوقت لصياغة استراتيجية عربية ومبادرة لتحقيق الأمن

---

١)عن مجلة مختارات إيرانية –العدد ٨٦ سبتمبر ٢٠٠٧د. محمود فرج

والاستقرار في العراق ومنطقة الخليج التي تعتبر البوابة الشرقية الاستراتيجية للعالم العربي، وأن يتم الترتيب لعقد مؤتمر خاص بالأمن والتعاون في الشرق الأوسط على أن يتم طرح كافة القضايا الملحة وبمشاركة دولية والتركيز على المشكلات الراهنة في العراق ولبنان والسودان وغيرهم وصولاً على مشكلة الشرق الأوسط وكذلك الطاقة النووية السلمية والتي تسعى دول العالم للاستفادة منها وحتى الدول البترولية تحسبًا لنفاد البترول كما هو الحال مع نيجيريا التي شرعت في بناء مشروع نووي سلمي يحقق أربعة آلاف ميجاوات من الكهرباء النووية خلال العشرة سنوات القادمة وقد احتضنت الجزائر في يناير الماضي مؤتمرًا دوليًا لعدم استخدام المفاعلات النووية السلمية، هذا فضلاً عن بناء إيران مفاعل بوشهر وعرضت مؤخرًا على شركات غربية وأمريكية مناقصة لبناء مفاعلين آخرين للاستخدام السلمي في منطقة خوزستان وجنوب إيران ولا يجب إغفال مشروع إسرائيل العملاق لبناء مفاعل جديد في صحراء النقب.

والمرحلة الحالية تعد حاسمة ومناسبة للدخول في حوار عربي مع إيران وهي في أمس الحاجة إليه قبل مرحلة التقارب مع أمريكا وتزيد أهمية ذلك وقبل فوات الأوان وقبل أن يسفر اللقاء بين إيران وأمريكا عن عودة التوافق بين كليهما وهو ما ستسعى إليه إيران في المرحلة

القادمة لحل مشاكلها المتشعبة في الداخل والخارج وسيكون ذلك على حساب العرب ولصالح المشروع الأمريكي.

الخليج العربي في الصراع الأمريكي ـ الإيراني

اقتضت الخصوصية الجيواستراتيجية للصراع الأمريكي ـ الإيراني أن يكون الخليج العربي والدول العربية المطلة عليه طرفاً رئيسياً في ذلك الصراع ومسرحاً لقسط لا بأس به من تفاعلاته ولعل في مساعي كل من واشنطن وطهران لاستقطاب دول مجلس التعاون الخليجي واستمالتها لتكون ركنا أساسياً في استراتيجية كل منهما لإدارة صراعها مع الأخري علي نحو ما تجلي خلال القمة الخليجية الأخيرة ثم مؤتمر حوار المنامة، ما يعزز ذلك.

ففي قطر، وأثناء قمة دول مجلس التعاون الخليجي،لجأ الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الجميع بسابقة لا قبل للقمم الخليجية بها حينما شارك في أحداث تلك القمة بكلمة في افتتاحها عرض خلالها علي دول مجلس التعاون مزيداً من التلاحم بينها وبين بلاده علي جميع الأصعدة من خلال اثني عشر إقتراحاً كان أبرزها ما يتعلق بإنشاء منظمة للتعاون الأمني فيما بينها، وإلغاء التأشيرات بهدف تسهيل تنقل المواطنين، فضلاً عن توثيق عري التعاون الاقتصادي وذلك في محاولة من نجاد لاستمالة

تلك الدول في مواجهة الولايات المتحدة ضمن استراتيجيات إيران لإدارة أزمتها الراهنة مع الغرب بجريرة برنامجها النووي ودورها في العراق ولبنان، فضلا عن استخدام دول مجلس التعاون أيضا كدرع استراتيجية وحائط صد في مواجهة أي تصعيد عسكري أمريكي محتمل ضد إيران ولعل النظام الإيراني يحاول بذلك التأسي بنظيره الكوري الشمالي، الذي يعتمد في إجهاضه لنيات واشنطن النيل منه عبر عمل عسكري، علي رفض دول الجوار الحليفة لواشنطن كاليابان وكوريا الجنوبية، لأي عمل من هذا القبيل ضد بلاده تلافياً للتداعيات السلبية الخطيرة التي يمكن أن تطال تلك الدول جراء ردود الفعل المتوقعة من قبل بيونج يانج كرد انتقامي منها علي أي عمل عسكري أمريكي ضدها وإذا كان النظام الشيوعى في بيونج يانج يعتمد علي سياسة الابتزاز الاستراتيجي المستند علي أسلحة الدمار الشامل فإن نظام طهران يتبني استراتيجية مزدوجة تقوم علي الترغيب والترهيب ففي حين يعمد شقها الأول إلي ترغيب دول مجلس التعاون الخليجي عبر تطمينها وتهدئة مخاوفها من طموحات بلاده النووية وتطلعاتها الاقليمية من خلال طرح بعض مبادرات التقارب مع تلك الدول، يجنح الشق الآخر منها لاتجاه ترهيب الولايات المتحدة عن طريق التهديد باتخاذ طهران من الخليج العربي مرمي لردها الانتقامي علي أي اعتداء عليها من أي اتجاه،لحمل

واشنطن وحلفائها في المنطقة علي التفكير مليا قبل الإقدام علي أي خيار عسكري ضد إيران.

وفي البحرين، حرص وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس علي توجيه رد أمريكي صارم علي المقترحات التي طرحها الرئيس الإيراني خلال قمة الدوحة الأخيرة من أجل التعاون الاقتصادي والأمني مع دول مجلس التعاون،عسى أن يجهض أي خطوات تقارب من هذا القبيل بين الأخيرة وإيران وفي سبيل ذلك، برع جيتس في تذكير الحضور بما تمثله إيران من تهديد للأمن والاستقرار في منطقة الخليج والعالم أجمع، وهو التهديد الذي يستوجب من وجهة نظره إنشاء درع صاروخية خليجية مضادة للصواريخ في المنطقة بغرض التصدي له.

ووسط هذا السباق الأمريكي الإيراني للاستئثار بثقة وتأييد دول مجلس التعاون الخليجي خلال الفترة المقبلة التي تبدو حبلي بالعديد من الأحداث الجسام والتطورات المثيرة،بدا جليا أن دول المجلس لم تبد ارتياحا لنيات الطرفين المتصارعين. فمن جهة، لم يتورع القادة الخليجيون في البيان الختامي لقمة الدوحة عن إبراز اللامبالاة إزاء المبادرة الإيرانية، التي جاءت واهنة يعوزها الصدق بعد أن كاد يفخخها نجاد بوصف الخليج أثناء كلمته في افتتاح القمة بالفارسي رغم علمه بمدي ما يثيره هذا الوصف من حساسيات ودلالات مقلقة لدي الجانب

العربي منه، كما اتبع النهج الإسرائيلي في عرض مقترحات التعاون الاقليمي،إذ دعا لتدشين علاقات تعاونية بين الفرقاء دون علاج جراحهم وتسوية خلافاتهم، حينما بشر بخليج ينعم بالاستقرار الأمني ويرفل في الانتعاش الاقتصادي، معتمداً على تجاهل الهواجس الأمنية لدول مجلس التعاون، وقاصداً القفز فوق ملفات الخلاف العالقة بين إيران وتلك الدول وفي صدارتها ملف الجزر الإماراتية الثلاث والطموحات النووية الإيرانية.

لذا جاء الترحيب من قبل قادة دول مجلس التعاون بالمبادرة الإيرانية عبر بيان رئاسي منفصل عن البيان الختامي للقمة، متبوعا بتأكيد أولئك القادة علي عزمهم بلورة آلية تنسيق مشتركة تعني بوضع ضوابط صارمة لأية مشاركة محتملة لمسئولين من خارج دول مجلس التعاون خلال القمم الخليجية المقبلة وفي منتدي المنامة، استقبلت دول مجلس التعاون الاقتراح الأمريكي بشأن إقامة نظام دفاعي صاروخي خليجي ضد إيران بحذر بالغ بعد أن شمت فيه رائحة سباق تسلح استراتيجي محموم، غالبا ما تتكبد هي نصيب الأسد من أعبائه الاقتصادية والأمنية في حين يجني آخرون ثماره الاستراتيجية.

كذلك لم يتردد قادة تلك الدول في انتقاد سياسة واشنطن التمييزية حيال البرامج النووية بالمنطقة، حيث تمعن في التحامل علي إيران، التي

اتهمها وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس بزعزعة استقرار المنطقة وتهديد أمن ومصالح الولايات المتحدة ودول الخليج، في الوقت الذي تغض بلاده الطرف عن إسرائيل مبررة ازدواجها ذلك بادعاءات واهية مفادها أن تل أبيب لا تريد تدمير جيرانها أو تهديد استقرار دول المنطقة كما لا تدعم الإرهاب وربما يشي ذلك المنطق من قبل قادة دول مجلس التعاون الخليجي في التعامل مع الاستراتيجيات الأمريكية والإيرانية حيالها، بعزوف واضح من قبل تلك الدول عن التورط في أي صراعات اقليمية، غالبا ما لا تكون طرفا مباشرا فيها لكنها كثيرا ما تضطر لتحمل القسط الأكبر من تكلفتها غير أن تصاعد وتيرة الصراع الراهن بين واشنطن وطهران من شأنه أن يحاصر ذلك المطمح الخليجي من جهتين: أولاهما، أن أي رفض صريح من جانب دول مجلس التعاون للأفكار الإيرانية أو الأمريكية حيالهم ربما يؤثر سلبا علي العلاقات بين دول المجلس وكل من طهران وواشنطن وثانيتهما، أن إصغاء دول المجلس للمبادرة الإيرانية قد يصورها أمام الولايات المتحدة والغرب كمن يؤازر نظام طهران في تحديه إياهم، في حين يزج بها تجاوبها مع الفكر الأمريكي إلي غياهب (١)سباق تسلح استراتيجي يستنزف مواردها دون

---

١)عن صحيفة الاهرام المصرية ٢٠٠٧/١٢/٢٠

أن يفلح بالضرورة فى تلبية احتياجاتها الأمنية كما أن رغبة العراق في بناء علاقة استراتيجية مع إيران على أساس الصداقة والاحترام المتبادل، فالجانب الأميركي شريك استراتيجي للعراق، والعراق ليس ساحة لتصفية الحسابات، ولن يكون منطلقاً للهجوم على إيران، والعراقيون يريدون بناء دولة ديمقراطية لا دولة طائفية هذه البنود حملها رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي خلال زيارته إلى إيران التي من المتوقع أن تكون نقطة ارتكاز جديدة في العلاقات بين البلدين الجارين وكذلك وضوحاً في الرؤية التي يجب أن تكون مشتركة لإرساء الأمن والسلام في المنطقة لكن كل ذلك يصطدم بالصراع الأمريكي الإيراني الحاد على الأراضي العراقية والاتفاقية الأمنية المفترضة ستكون لب الصراع القادم .

انتهز رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي فرصة زيارته لطهران لتهدئة مخاوف الإيرانيين من أن تؤدي المفاوضات بين بغداد وواشنطن بشأن اتفاقية عسكرية جديدة إلى وجود قواعد أمريكية دائمة عبر حدودها وقال المالكي في خطاب أدلى به في السفارة العراقية في طهران إنه لا يوجد في عراق اليوم ما يمكن أن يهدد استقرار الدول المجاورة بحسب رويترز وفي العراق حيث يضمر الكثير من العراقيين شكوكاً مماثلة تجاه النوايا الأمريكية رفض ريان كروكر سفير الولايات المتحدة التقارير ووصفها بأنها غير حقيقية بالمرة وتعارض إيران التي أثار

برنامجها النووي توترات مع الولايات المتحدة وجود القوات الأمريكية في العراق وتلقي باللوم على هذه القوات في موجة العنف التي أعقبت الغزو الذي قادته واشنطن في عام ٢٠٠٣ونسبت وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية إلى برويز داودي النائب الأول لرئيس الجمهورية قوله إيران ستظل دائما بجانب حكومة العراق الشعبية وأضاف لطالما كانت المساعدة في إرساء الأمن بالعراق من سياسات إيران الأساسية واتهم بعض المسئولين العراقيين والولايات المتحدة إيران بالسعي لزعزعة استقرار العراق بتمويل الميليشيات العراقية وتدريبها ومدها بالسلاح وهو اتهام دأبت إيران على نفيه .

وقال علي الدباغ المتحدث باسم الحكومة العراقية إن قضية التدخل الإيراني في الشئون الداخلية للعراق ستثار خلال المحادثات وعين المالكي لجنة للتحقيق في مزاعم عن تدخل إيراني في شئون العراق وإعداد ملف يحتوي على أدلة ولم يتضح إن كانت القضية نوقشت خلال اجتماع المالكي مع المسئولين الإيرانيين أم لا .

ونقلت وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية عن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد قوله خلال محادثات مع المالكي إن جيران العراق عليهم مسئولية أكبر في مساعدة البلاد على تحقيق السلام والامن وذكر بيان صدر عن مكتب المالكي بعد محادثاته مع داودي أن الرجلين ناقشا إجراءات لتحسين العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية

إلى جانب خطوات لدعم قطاعي الكهرباء والخدمات في العراق ونسب البيان إلى المالكي قوله العراق يتطلع لمساهمة الشركات الإيرانية إلى جانب شركات دول الجوار والعالم في تطوير البنى التحتية وقال المالكي لنجاد، وفق بيان صادر عن مكتبه عراق اليوم لا يمثل أي تهديد كما كان الحال إبان النظام السابق.العراق اليوم دولة دستورية تستند إلى حكم القانون،وتسعى لترسيخ علاقاتها الإقليمية على أسس التعاون والاحترام المتبادل ونقلت إرنا في وقت سابق عن المالكي قوله إن: بغداد لن تسمح باستخدام أراضيها كقاعدة للإضرار بأمن دول الجوار، ومن بينهم إيران وتتصدر الاتفاقية الأمنية الدائمة بين العراق والولايات المتحدة جدول اجتماعات المالكي في زيارته الثالثة لإيران، التي تعارض بشكل قاطع هذا الاتفاق وأشعل الاتفاق الأمني المقترح، موجة احتجاجات شعبية في العراق،حيث يتخوف العديد أن تؤدي لإقامة قواعد عسكرية أمريكية دائمة، وتواجد عسكري أمريكي طويل الأمد وكان الزعيم الشيعي مقتدى الصدر قد دعا إلى تنظيم احتجاجات شعبية وقال علي الهادي، مستشار المالكي، إن مفاوضات الاتفاق الأمني مازالت في مراحلها الأولية، وأردف الاتفاقية عراقية-أمريكية محضة، وليس للإيرانيين دخل في هذا الشأن، ولن نناقش مدى التقدم المحرز أو عناصر الاتفاق أو الخلاف المحورية معهم فهذا شأن عراقي ودعا النائب السني، عدنان الباجه جي خلال حديث لـ CNNالمالكي لمطالبة إيران بوقف دعم الفصائل

المسلحة في العراق .

وقال آمل أن يوضح المالكي هذا جلياً أن كافة الأطياف العراقية، تعارض وبشدة محاولات إيران التدخل في شئون العراق وقال وزير الخارجية السابق إن رئيس الوزراء العراقي السابق، إبراهيم الجعفري، سمح بسيطرة المليشيات الطائفية والعرقية على قوات الأمن العراقي، وطالب ببقاء القوات الأمريكية وحتى تطهير تلك القوات .

وتناولت صحف أمريكية، زيارة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي لطهران، محاولة التركيز على أن هدف الزيارة يتمحور على محاولة تهدئة المخاوف الإيرانية من غايات إقامة قواعد عسكرية دائمة في العراق، إلا أن تلك المحاولة ربما لن تنجح في تغيير الموقف الإيراني إزاء الاتفاقية الأمنية العراقية الأميركية ونشرت صحيفة لوس أنجلس تايمز تقريرا حمل عنوان العراق يتعهد بإقامة علاقات متينة مع إيران اعتبرت فيه أن المالكي التقى بالرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد ساعياً لتهدئة القلق الإيراني من الاتفاقية الأمنية طويلة الأمد المقترحة بين العراق والولايات المتحدة وقالت الصحيفة إن المالكي التقى بأحمدي نجاد وتعهد بإقامة علاقات متينة بين الجارين في وقت تتفاوض فيه بغداد لإبرام اتفاقية أمنية طويلة الأمد مع الولايات المتحدة .

أما صحيفة واشنطن بوست Washington Post فضمت صفحاتها تقريرا يكاد يضم مفردات عنوان تقرير لوس أنجلس تايمز السابق، إلا

انه هذه المرة يركز على ما تريده إيران، بعد لقاء المالكي ـ احمدي نجاد أمس في طهران ومع واشنطن بوست نقرأ إيران تحث على إقامة علاقات دفاعية متينة مع العراق،مع التركيز أيضا على تزايد القلق الإيراني من المعاهدة الأمنية المقترحة بين بغداد والولايات المتحدة وقالت الصحيفة إن مسئولين إيرانيين كانوا يدافعون في لقاءاتهم مع المالكي ومساعديه عن ضرورة إقامة علاقة دفاعية متينة مع العراق ونقلت الصحيفة عن وزير الدفاع الإيراني، مصطفى محمد نجار، قوله إن هناك إمكانيات كثيرة لإقامة تعاون امني ودفاعي بين العراق وإيران، مشددا على ما اسماه الخزين الاستراتيجي الضخم لدى البلدين الغنيين بالنفط وقال نجار في اجتماع مع نظيره العراقي، عبد القادر محمد جاسم، نحن نعتقد أن التعاون الدفاعي الإيراني ـ العراقي، الذي يمكن أن يتواصل، سيلعب دورا ايجابيا في إرساء سلام طويل الأمد وأمن واستقرار في منطقة الشرق الأوسط وبحسب الصحيفة، فإن العراق يطمح إلى بناء تعاون عسكري قوي مع طهران، داعياً بغداد إلى التفتح على الجهد الدفاعي لدى الجوار .

وأشارت الصحيفة إلى أن تطمينات المالكي للإيرانيين في أن العراق لن يكون منطلقا لأعمال عدوانية ضد الجيران لا يُتوقع أنها ستغير من موقف إيران حيال الاتفاقية الأمنية، بحسب ما ذكر محللون إيرانيون ونقلت الصحيفة عن أحمد زيد آبادي، وهو صحفي في جريدة شهرفند

ايمروز (المواطن اليوم) الصادرة في طهران، قوله إن إيران تحاول تقويض الاتفاقية الأميركية- العراقية، وقال إن السلطات الإيرانية لا تريد التوصل إلى إبرام هذه المعاهدة وتريد إفشالها كي تمنع تحول العراق إلى قلعة لضرب القوات الإيرانية

وقال المحلل الإيراني رحمن غاهر مانبور، من مركز الدراسات الإستراتيجية في طهران إن المسئولين الإيرانيين يشعرون بالقلق مما ستتضمنه هذه المعاهدة، مضيفا لدينا مخاوف حقيقية حول مستقبل العراق، فهذه المعاهدة ربما تضر بالعلاقة العراقية - الإيرانية وقال زيد آبادي أن الأهداف الإيرانية في العراق تنقسم إلى شطرين فعلي المستوى الرسمي، تريد الحكومة تعايشا سلميا بل حتى شراكة مع العراق، لكن بعض الجماعات السياسية الإيرانية تنظر إلى العراق كحليف ينبغي، بسبب غالبيته الشيعية، أن يكون في صف إيران ليتغير بذلك توازن القوى في المنطقة لصالح إيران ضد الولايات المتحدة .

وقال المالكي، إن الفصل السابع في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالعراق يكبل أيدي القيادة العراقية، واصفا العراق أنه كان عنصر استفزاز وقلق بسبب سياسات النظام السابق، لكنه أصبح الآن دولة دستورية لا تعتدي على دول الجوار .

وقال المالكي خلال اللقاء الذي نظمته السفارة العراقية في طهران، إن الفصل السابع في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالعراق، والذي فرض

على العراق بسبب سياسات النظام السابق، يكبل ايدينا .

والبند السابع في قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالعراق، والذي صدر في أعقاب غزو الكويت في عام ١٩٩٠، يجيز استخدام القوة ضد العراق لكونه يمثل مصدر تهديد وأضاف المالكي إن العراق كان عنصر استفزاز وقلق لدول الجوار، وكان سلطة بلا قانون، لكنه الآن، دولة دستورية لا تنتهج سياسة عدوانية، ولا تثير القلق تجاه الدول المجاورة وخاض المالكي مفاوضات صعبة مع الجانب الإيراني وقالت مصادر مطلعة لـ الحياة إن وزير الخارجية منوشهر متقي أبلغه معارضة طهران توقيع معاهدة أمنية بين بغداد وواشنطن، إذا لم تحصل على ضمانات تتيح لها المشاركة في نظام أمني اقليمي وأنه شدد على أن نتائج محادثات المالكي في طهران التى ستشكل نقطة تحول في العلاقات بين البلدين، على رغم طمأنة المالكي مضيفيه إلى أنه لن يسمح بتحويل العراق إلى قاعدة للهجوم على أي دولة وقالت هذه المصادر إن المالكي أبدى الكثير من التصلب في مواجهة المطالب الإيرانية، وقدم إلى المسئولين الذين التقى بهم أدلة على تدخلهم في الشئون العراقية وأشارت إلى توقيت الزيارة، معتبرة أنها تحمل دلالات خاصة، في وقت تخوض الحكومة العراقية مفاوضات لإبرام معاهدة أمنية مع واشنطن، بعد إدخال تعديلات على النص المتداول، تأخذ مخاوف الدول المجاورة في الاعتبار وكان المالكي قد التقى بنجاد بعدما أجرى محادثات مع متقي، وناقش معه

نقاطاً صيغت على شكل مسودة اتفاق، وأبرز هذه النقاط :

١-رغبة العراق في بناء علاقة استراتيجية مع إيران على أساس الصداقة والاحترام المتبادل .

٢-الجانب الأمريكي شريك استراتيجي للعراق وإيران صديق حميم .

٣- العراق ليس ساحة لتصفية الحسابات بين واشنطن وإيران .

٤- العراق لن يكون منطلقاً للهجوم على إيران .

ان بغداد تسعى إلى توسيع نطاق اتفاقات أمنية وسياسية سابقة بين البلدين أو إبرام اتفاق جديد لطمأنة إيران أن أي معاهدة مع الولايات المتحدة لن تكون موجهة ضدها لكن سامي العسكري، النائب المقرب من المالكي نفى نيّة المالكي توقيع اتفاق استراتيجي مع طهران، خلال هذه الزيارة، وقال إنه طرح على الجانب الإيراني ما يتداوله العراقيون حول التدخل الإيراني في الشأن العراقي من خلال دعم الميليشيات وأضاف أنه سيبحث مجمل العلاقة مع طهران وأوجه التعاون في مجال الأمن ومكافحة الإرهاب والعلاقات الاقتصادية، نافياً إمكان توقيع اتفاق امني معها، وقال إن التعاون موجود لكن الظروف الحالية لا تسمح بإبرام مثل هذا الاتفاق .

ونقلت المصادر عن متقي قوله إن نتائج زيارة رئيس الوزراء العراقي ستكون نقطة تحول في العلاقات بين البلدين، وتابعت إن المالكي شرح

الظروف الحساسة للعراق، وقال إن المشاورات بين بغداد وطهران مؤشر على عمق الأواصر بينهما، وأضاف أن الجماعات والتنظيمات الشيعية والسنّية والكردية يهمها ترسيخ هذه العلاقات وحذر ضمناً من أن استقرار الأوضاع الأمنية في العراق أو عدم تحسنها يمكن أن يؤثر في دول المنطقة وأكد أن الأمن من أهداف البلدين، ولن نسمح بأن يتحول العراق إلى قاعدة للإضرار بأمنكم أو أمن الدول المجاورة .

ومن جهة ثانية نقلت الإذاعة الإيرانية عن الزعيم الإيراني الأعلى آية الله علي خامنئي قوله لرئيس الوزراء العراقي نوري المالكي أن المشكلة الرئيسية التي تواجه العراق تتمثل في وجود القوات الأمريكية وغيرها من القوات الأجنبية حسب ما أعلنته وكالة رويترز .

ونسب إلى خامنئي قوله خلال اجتماعه مع المالكي في طهران أن وجود المحتلين بالعراق وبخاصة القوات المسلحة الأمريكية هو العقبة الرئيسية أمام الوحدة في العراق وأن أهم مشكلة في العراق هي وجود قوات أجنبية في ذلك البلد .(١)

---

١) عن مقال للسفير د : عبد الله الأشعل - بتصرف

محاولات إيرانية مع لبنان وسوريا ومصر

يرى الساسة الإيرانيون أنه بعد السيطرة على لبنان يكون الشيعة في منطقة الخليج تحت رهن الإشارة ، ولكن ما هي الإشارة ؟قال بوش في كلمة له إذا خرجت أمريكا من العراق فهذا سوف يجعل دول الخليج في خطر، فهذه إشارة فهمها الجميع ، ولكن ما هي الإشارة الثانية ؟ الإشارة الثانية تلويح أمريكا بجدية بضرب إيران وبذا تكون الإشارة الثانية قد أعطيت للرافضة لبدء الفوضى في مناطق دول الخليج وعدم الاستقرار لماذا ؟ لاعتماد أمريكا على دول الخليج اعتمادا لا يمكن الاستغناء عنه ومعنى ذلك ،أن عدم الاستقرار في هذه المناطق يحرم حلفاء الحرب من الأمن في منطقتهم والانشغال بأنفسهم، قبل أن ينشغلوا بغيرهم وهذه الحرب تختلف اختلافا جذريا عن سابقتها من الحروب ،وسوف يكون الاعتماد على حلف الناتو في هذه الحرب أكثر من الاعتماد على أمريكا لأسباب اقتصادية وسيادية مستقبلية وسياسية ومعنى الكلام أن هذه الحرب حرب قوى وليست حربا عادية.

وحسب تقارير أميركية نشرتها الشرق الأوسط في عدد ٣-يونيو-٢٠١١م فان إيران تقوم بإرسال أعداد متزايدة من المستشارين وأعضاء في فيلق القدس إلى سوريا للمساعدة على قمع الثورة السورية المتصاعدة، وقد أشارت هذه التقارير، التي تدعمها معلومات استخبارية لبعض دول الاتحاد الأوروبي، إلى دور عسكري إيراني متنامٍ في الإجراءات القمعية الوحشية التي يتبعها النظام السوري، أو بعض أطرافه، ضد شعبه وعندما تتلاقى هذه المعلومات مع معلومات أخرى تكررت أكثر من مرة عن أن حزب الله اللبناني قد دخل معركة كسر شوكة انتفاضة الشعب السوري منذ الأيام الأولى، وأن مجموعات الملثمين باللباس الأسود الذين ارتكبوا مجازر وحشية والحقيقة أنه لا غرابة في أن تدخل إيران هذه المعركة على هذا النحو المكشوف فهي تعتبر النظام السوري نظامها، وكانت قد نسجت علاقات مع نظام الرئيس حافظ الأسد ترتقي إلى المعاهدات العسكرية والاقتصادية، كما إنه لا يهم إيران كثيرا أن تعود الطائفة العلوية إلى أحضان المذهب الجعفري الاثني عشري لولا اقتناعها بأن حكم سوريا هو حكم هذه الطائفة، وبالتالي فإن دعمها هو تعزيز للدور الإيراني في هذا البلد العربي الهام جدا وتجدر الإشارة إلى أن طهران بقيت تحاول،من خلال سياسة الترغيب والترهيب التي لا تزال تمارسها على قيادة كردستان العراق،والمقصود هنا هو الزعيم مسعود بارزاني، لمنحها ممرا بريا عبر المناطق الكردية في

شمال العراق ليكون هناك ربط أرضي مباشر بين الأراضي الإيرانية والأراضي السورية، وبالطبع فإن الرئيس السوري السابق حافظ الأسد الذي كان يعتبر تطويق العراق وإضعافه مسألة استراتيجية وأساسية، كان مع هذا الربط، ومع أن يتعزز التحالف الإيراني - السوري ليصبح بإمكانه تحويل منطقة بلاد الشام، ومعها العراق، منطقة مجال نفوذ حيوي له لاستعادة الكثير من الاعتبارات التاريخية.

إن المشكلة في حقيقة الأمر ليست مشكلة الطائفة العلوية، التي مثلها مثل كل مكونات الشعب السوري فيها اتجاهات متعددة وليست على قلب رجل واحد، بل المشكلة أن حافظ الأسد، الذي جاء إلى الحكم بانقلاب عسكري في عام ١٩٧٠،قد حكم سوريا باسم هذه الطائفة، والآن فإن ابنه ومعه هذه المجموعة يحكمون باسم هذه الطائفة،وهذا كله قد جعل منه مدخلا لإيران،التي تحكم باسم المذهب الجعفري الإيراني، نحو سوريا، وجعل من سوريا من وجهة نظر دولة الولي الفقيه نقطة الارتكاز الضرورية لتحقيق مشروع مجالها الحيوي فيما يسمى بهيئة الهلال الشيعي، الذي أحد طرفيه في اليمن وطرفه الآخر في القرداحة، التي هي عنوان نفوذ حافظ الأسد ومن جاء بعده.

كان محمد حسن أختري سفيرا لإيران في دمشق بداية مطلع عقد ثمانينات القرن الماضي ولعدة أعوام، وكان في حقيقة الأمر واسع النفوذ

وسفيرا فوق العادة، وكانت مهمته التي كان قد كلف بها من قبل الإمام الخميني أن يعزز النفوذ الإيراني في سوريا على أسس طائفية، وأن يقيم لهذا النفوذ جسرا في لبنان من خلال تحويله إلى قوة عسكرية لا تقهر ومسيطرة على هذا البلد كله، وجسرا في غزة من خلال حركة حماس التي تصرف رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل تجاه إيران كتصرف حسن نصر الله وحقيقة أن أختري قد حقق نجاح هائل، وأنه تمكن من إيجاد حركة تشييع في بعض المناطق السورية الشرقية والشمالية من خلال مؤسسة الإمام الرضا ومن غير الممكن فك علاقات سوريا بإيران التي هي أكثر من استراتيجية ما دام من يحكم في دمشق باسم الطائفة العلوية، فهذا بالنسبة للتطلعات القومية الإيرانية مدخل استعادة واقع الإمبراطورية الفارسية القديمة، وهذا بالنسبة لمن يحكمون باسم هذه الطائفة العلوية هو الضمان المؤكد لعدم العودة إلى ذلك الماضي المزري والمريض، ولذلك فإنه شيء طبيعي أن يعتبر مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي أن المعركة المحتدمة في سوريا الآن هي معركة جمهورية إيران الإسلامية، وهي معركة تحقيق حلم استعادة أمجاد فارس القديمة، وهي معركة حياة أو موت، إن لم تخضها إيران وتنتصر فيها فإنها ستخسر لبنان، وغزة،والعراق والشاطئ الغربي للخليج الفارسي كله واليمن فوق هذا وذاك وفي ١٥ يوليو ٢٠١١ كشفت صحيفة فرنسية اقتصادية أن المرشد الأعلى بإيران آية الله علي خامنئي وافق على أن تقدم بلاده

دعما ماليا بقيمة ٥.٨ مليارات دولار لحليفتها الإستراتيجية سوريا، بقصد تنشيط اقتصادها المتضرر جراء الخسائر الفادحة التي تكبدها طيلة أربعة أشهر من الاحتجاجات المناهضة للنظام ويتضمن الدعم المالي لسوريا تقديم ١.٢ مليار دولار بشكل عاجل على مدى ثلاثة أشهر، وتعتزم إيران ضمن خطتها لدعم دمشق منحها ٢٩٠ ألف برميل نفط يوميا بالمجان خلال الأشهر التسعة القادمة.

كما ستمد إيران يد العون لسوريا في منع هروب رؤوس الأموال من البلاد، حيث تغادر الكثير من السيارات الأراضي السورية باتجاه لبنان وهي محملة بحقائب ممتلئة بالأموال، وستبعث طهران علي مملوك إلى سوريا، وهو مسئول بارز في الحرس الثوري يترأس جهاز الاستخبارات العامة، وسيقدم المشورة فيما يخص مراقبة الحدود السورية.

كما تسعي إيران الضلع الأساسي في الهرم الثلاثي مع حزب الله وسوريا إلي أن تجد لها دوراً في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير واستخدامها في توصيل رسائل للغرب وبعض الدول العربية مثل السعودية أن لها دورا علي الساحة المصرية وأنها مترامية الأطراف بزرع عناصر موالية لها من الداخل والخارج بالاعتماد علي الذراع اليمني لها وهو حزب الله وبعض العناصر الشيعية في مصر الذين يبحثون عن أدوار ويؤكد ذلك ظهور مجموعة علي الفيس بوك باسم الحرس الثوري المصري وتضم

صورة للمرشد آية الله الخامنئي تزامن ذلك مع وجود مندوب من حزب الله بالقاهرة يعقد لقاءات سرية مع بعض العناصر الشيعية المصرية لتجنيدهم لممارسة دور علي الساحة لصالح إيران في الوقت الذي تمكن هذا المندوب في التحرك في شوارع مصر إلا أن السلطات المصرية قامت برفض دخول مجموعة من العناصر الشيعية العراقية للقاهرة لأسباب أمنية وقد قدر تقرير الحالة الدينية للخارجية الأمريكية عدد الشيعة فى مصر بـ٧٥٠ ألف شخص، ينتشرون من خلال الجماعات الصوفية القريبة منهم ونقابة الأشراف، لكنهم غير منظمين وليس لهم هيكل إداري أو تنظيمي ويحاولون أن يمارسوا دورا من خلال الحصول علي دعم إيران الحريصة علي علاقاتها بمصر لأنها دولة مهمة في الخريطة العربية والعالمية ويبحثون عن قدم فيها من خلال الشيعة وحزب الله اللبناني الذي يعد الذراع اليمني لإيران .

وهناك مندوب لحزب الله سوري الجنسية جاء إلي مصر عام ٢٠٠٦ في ظل عصر مبارك وزادت زياراته بعد الثورة كما أن هناك مجموعة من الشيعة العراقيين جاءوا إلي مصر ولكن السلطات المصرية لم توافق علي دخولهم مطار القاهرة وتمت إعادتهم إلي العراق لأسباب أمنية .

دور إيران فى العراق قبل وبعد الاحتلال

كشفت دراسة أصدرتها مؤسسة جيمس تاون فاونديشن الأمريكية عن دور الحرس الثوري الإيراني في تأجيج المواجهات الطائفية بالعراق وخصصت المؤسسة ذات الصلات الوثيقة بوزارة الدفاع الأمريكية الصفحات الأولى من دراستها للتحركات الإيرانية في العراق قبيل الحرب في سياق الاستعداد لاستغلال نتائجها عبر المنظمات العراقية المعارضة التي لجأت إلى إيران وقالت الدراسة التي جاءت تحت عنوان مساهمة إيران في الحرب الأهلية في العراق، إن فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بزعامة عبد العزيز الحكيم، على نحو خاص نظم عدداً من الاجتماعات مع الزعيمين الكرديين جلال طالباني ومسعود البرزاني، كما أنه عقد لقاءات مع عدد من قادة الجماعات المعارضة في الجنوب بحضور مسئولين في الحرس الثوري الإيراني شارك فيها نائب قائد الفيلق أبو مهدي المهندس وقائد قواته أبو حسن العماري ومسئول عملياته الاستخبارية أبو لقاء الصافي ومسئول عملياته أبو أيوب البصري وذلك في نوفمبر ٢٠٠١ .

وبناءاً على وثائق ضبطت في العراق فإن تعليمات قادة فيلق بدر التي نقلوها إلى من التقوا بهم تضمنت الاستعداد لحدوث غزو أمريكي وتقديم الدعم الضروري والفعال للقوات الأمريكية عند وصولها إلى الأراضي

العراقية والقيام بعمليات استطلاع وبهجمات محدودة المدى بهدف شغل القوات العراقية في الجنوب فضلاً عن ذلك فقط طلب الحرس الثوري الإيراني من فيلق بدر تشكيل كتيبتين سُميت الأولى مجاهدي الحسين ترسل إلى مدينة العمارة وسُميت الثانية أنصار الحسين ترسل إلى الناصرية لجمع المعلومات عن انتشار الوحدات العسكرية العراقية قبل شن الحرب ولتحديد مواقع المنشآت الحكومية ومراكز قوات الدفاع الجوي وأشرف على ذلك جنرال من الحرس الثوري الإيراني يدعى الجنرال محمد وكان الجنرال محمد قد اتخذ من مكتب في السليمانية مركزاً لاتصاله بشبكة أفراد فيلق بدر وقد طلب من أفراد فيلق بدر السيطرة على الطريق الواصل بين الديوانية والقاسم التي تقع في محافظة بابل فور دخول القوات الأمريكية .

وفي ١١ مارس ٢٠٠٤ - أي بعد الغزو - قامت المخابرات الإيرانية بافتتاح مكتب في النجف أطلقت عليه اسم مكتب مساعدة الفقراء وقامت المخابرات الإيرانية بتوزيع ألفي دولار فوراً وألف دولار كل شهر على من يقبلون بالانضمام إلى ميليشيات معينة وتمكنت المخابرات الإيرانية من تجنيد ٧٠ ألف شخص انضم عدد منهم إلى الميليشيات فيما بقي العدد الآخر للقيام بمهام استطلاع وذكرت الدراسة أن هناك وثيقة تضمنت اعتراف ضابط إيراني منشق بمدى التغلغل الذي قامت به المخابرات الإيرانية داخل العراق في تلك الآونة وقال إن مدى واتساع

عمليات قوات القدس التابعة للحرس الثوري في العراق تجاوز ما فعلناه خلال الحرب بيننا وبين صدام، إن هناك مناطق واسعة في العراق تخضع لقوات القدس من الناحية العملية وذلك عبر المتعاونين معها وإن هذه القوات تستخدم شبكة من المؤسسات الخيرية والشركات والواجهات الأخرى لممارسة أنشطتها في أنحاء العراق وأضاف أننا نقوم بإرسال ضباطنا إلى العراق لفترات تمتد إلى شهور وذلك تحت غطاء العمل في شركات البناء وقد عملت شركة مثل شركة الكوثر في النجف مثلاً إلا أنها كانت واجهة لقوات القدس في حقيقة الأمر.

كما أن الإيرانيين أرسلوا بعد ذلك نحو ألفي طالب دين إلى النجف وكربلاء للدراسة إلا أن ثلثهم على الأقل كانوا من عملاء المخابرات أو من أفراد قوات القدس ويقوم هؤلاء بدعم الميليشيات وبتنظيم أعداد من العراقيين في خلايا سرية وأشار التقرير إلى وجود اتفاق سري بين إيران وما يسمى حكومة كردستان يقضي بألا تتدخل طهران في الشئون الداخلية لكردستان وألا تدخل قواتها إلى أراضي شمال العراق خلال تعقب العناصر الكردية الإيرانية المعارضة للحكومة الإيرانية وفي المقابل وافقت الحكومة الكردية على ألا تسمح بأي عمليات عسكرية ضد إيران من أراضيها .

وقد قامت المخابرات الإيرانية باغتيال أعداد كبيرة من الأساتذة الجامعيين والعلماء والأطباء العراقيين بالإضافة إلى الضباط ولاسيما

الطيارين وذكر أن عدد الطيارين وكبار الضباط السابقين الذين اغتالتهم المخابرات الإيرانية منذ الغزو الأمريكي بلغ ٩٠ ضابطاً وطياراً ولأن ذلك مثل لكثير من العراقيين من الشيعة والسنة والأكراد عدواناً على وطنهم من قوة خارجية، أي لأن هؤلاء العراقيين لم ينظروا إلى الأمر على أساس مذهبي أو طائفي فقد تعددت أعمال المعارضة لهذا التغلغل، حتى من بين صفوف الشيعة الذين حاولت المخابرات الإيرانية إقناعهم بأنها تفعل ذلك لخدمتهم من ذلك مثلاً ما ذكره تقرير عن اغتيال المخابرات الإيرانية لضابط شيعي يدعى العقيد غازي كان يعمل في إدارة الهجرة والجنسية العراقية عام ٢٠٠٤ لأنه رفض الموافقة على منح الجنسية لإيرانيين ادعوا أنهم عراقيون عائدون من إيران ووجهت الميليشيات تحذيرات إلى العقيد غازي لوقف معارضته منح أوراق هوية عراقية لغير العراقيين ثم انتهى الأمر باغتياله ومن ذلك أيضاً الغضب الذي عبر عنه الرئيس جلال طالباني عند علمه باستهداف الطيارين والعلماء العراقيين والعرض الذي قدمه لهم بالتوجه إلى شمال العراق حيث سيتولى حمايتهم إذا تعقبتهم المخابرات الإيرانية.

وأشار التقرير إلى شراء عناصر من المخابرات الإيرانية لمساحات واسعة من الأرض ولاسيما في جنوب العراق فضلاً عن ٥ آلاف شقة ومنزل ومحل تجاري في بغداد والبصرة والنجف وكربلاء وأن هذه الأماكن تستخدم كمواقع للإيرانيين العاملين في العراق من أفراد

المخابرات والحرس الثوري والميليشيات التي تعمل معهم .

وكان حجم الدعم الذي قدمته إيران لقوى سياسية عراقية معينة خلال الانتخابات التي جرت عام ٢٠٠٥ بما في ذلك طبع الملصقات والمنشورات بل وإرسال صناديق معبأة جاهزة لتوضع محل الصناديق المعروضة في مراكز الاقتراع وذلك مع البدء في فرز الأصوات وقال التقرير إن إيران تأمل في السيطرة الكاملة على جنوب العراق وفصله من الوجهة العملية عن بقية أنحاء العراق وأن الميليشيات التي تدعمها إيران اخترقت أجهزة الأمن العراقية بكل مستوياتها ووسعت مجال عملياتها في كل أنحاء العراق وهذه الميليشيات مسئولة عن مصرع أعداد من المدنيين تفوق أعداد من لقوا مصرعهم على أيدي المتمردين والمقاتلين الأجانب الذين تعتبرهم الولايات المتحدة خصمها الأول وأوضح التقرير أن هذه الميليشيات تسيطر تقريباً على القوات التابعة لوزارة الداخلية العراقية ومن المؤسف أن بعض هذه القوات إن لم تكن أغلبية الميليشيات الشيعية (١)كانت يوماً جزءاً من القوات الأمنية العراقية الجديدة التي دربتها قوات التحالف وأنفقت على تدريبها مليارات الدولارات على أساس أن هذه القوات ستخدم العراقيين وتنقذ العراق بدلاً من أن تتبع الأجندة السياسية الإيرانية.